الفصل الرابع

حوارات حول قضايا فلسفية وحضارية

(١)

حوار حول كتاب «ما بعد العولمة ـ قراءة فى مستقبل التفاعل الحضارى ودورنا فيه»[١]

مع الدكتور مصطفى النشار أستاذ الفلسفة والمفكر المعروف صاحب كتاب ما بعد العولمة ـ قراءة فى مستقبل التفاعل الحضارى الذى صدر مواكبا لبداية معرض الكتاب كان لدنيا الثقافة هذا الحوار.

كيف تتحدث عن مابعد العولمة بينما العولمة وموقفنا منها هى قضية القضايا التى لايزال العقل العربى مشغولا بها؟!

* الحقيقية أننى مؤمن بأن القراءة الواعية للحاضر ليست هى فقط مهمة المفكر، بل أن هذه القراءة للحاضر أن لم تقدنا إلى التفكير فى صورة المستقبل فلا قيمة لها! إننا مشغولون الآن بمحاولة أمريكا قائد ركب العولمة تشكيل العالم واعادة تكوينه على هواها وحسبما تريد ثقافيا وسياسيا واقتصاديا! والحقيقة اننى اتنبأ فى هذا الكتاب الجديد بأن محاولة أمريكا أمركة العالم أو تكوين ما يسمى الان بالامبراطورية الأمريكية هى

---

(١) حوار نشر بالاهرام يوم الأحد ٢٦ يناير ٢٠٠٣م: أجراه مع المؤلف الأستاذ ابراهيم السخاوى.

محاولة مآلها إلى الفشل لأنه لا يمكن أن يعود التاريخ إلى الوراء، إلى القرن التاسع عشر مرة أخرى كيف ترون ذلك الفشل وأمريكا والغرب الان فى قمة نجاحهم وسيطرتهم على العالم!!

* لقد علمتنا دراسة فلسفة التاريخ كيف نقرأ الدورات الحضارية وكيفية صعود الأمم وكيفية انهيارها. وحينما نطبق هذه المعايير كما حدث فى كتاب هذا نجد أن النتيجة هى أن المستقبل سيشهد انهيار الطاغوت الامريكى داخليا وخارجيا ولن يتعدى ذلك ثلاثينيات هذا القرن.وأن هذا المستقبل ـ كما أكدنا ذلك من خلال قراءه تفاعلات الحاضر وتحليل قدرات القوى المنافسة للولايات المتحدة ـ سيشهد صعود قوى أخرى أكثر اعتدالا وأكثر مراعاة لمصالح بقية الشعوب وأكثر قدره على تطبيق معايير العدالة على كافة الشعوب.

الا ترى أن هذا يعد حلما طوباويا؟

* ان هذا ليس حلما ولاطوباويا لأن قراءه الحاضر سواء داخل الولايات المتحدة نفسها وشريكاتها فى أوروبا والغرب، وكذا قراءة تاريخ الصراع بين الشرق عامة والآسيوى خاصة، والغرب تؤكد حدوث هذا التغير لصالح الشرق. لقد قدمنا فى كتابنا هذا براهين عديدة على أننا فى واقع الأمر لم نعد نعيش عصر العولمة لأن إنهيار أصبح وشيكا وحتميا لأنها لم تبن على أسس أخلاقية وسياسية واقتصادية عادلة كما لم تراع تنوع الثقافات وتلاقح الحضارات. ان ثقافة البعد الواحد إلى زوال، كما أن القوة المتجبرة إلى تسعى إلى إذلال الاخرين لامتلاكها وسائل القوة العسكرية والاقتصادية أيضا إلى زوال.. ولسنا وحدنا من يقول ذلك بل ان بعض مفكرى أمريكا نفسها بدأوا يشعرون بخطر زوال

امبراطوريتهم وهيمنتهم وبنوا ذلك على أساس الاسراف فى الانفاق العسكرى والتركيز على فرض الهيمنة لامن خلال الحوار بل من خلال التهديد بالقوة العسكرية.

إذن إذا كان ثمة مستقبل لأسيا وللشرق، فماذا نحن فاعلون وما هو موقعنا من كل ذلك؟

* الحقيقة أن هذا السؤال كان شغل الشاغل سواء فى ضد العولمة أو فى فى فلسفة الثقافة حينما تحدثت عن العولمة الثقافية بين الامكان والاستحالة أو حينما تحدثت من الثقافة والتقدم وكذلك فى كتابنا قبل الاخير بن قرنين حينما تحدثت عن كيفية تطلعنا للمستقبل وقضايانا الجزئية وكذلك عن العولمة الاقتصادية وكيف يمكننا أن ننجو من فخها؟ وكذلك فى كتابى الأخير هذا عن ما بعد العولمة فقد خصصت القسم الثالث منه للحديث عن كيفية دخولنا فى قلب التفاعل المضارى للمستقبل فتحدثت عن ضرورة المشاركة فى ذلك عبر تحديث المجتمع العربى والعربى علميا وسياسيا واجتماعيا وعن ضرورة ان نتعامل مع العصر بقيمة الجديدة بقدر ما نحافظ فى ذات الوقت على قيمنا وأسس هويتنا، وعن ضرورة التحاور مع الآخر من منطلق الثقة بالنفس وبناء عوامل القوة الذاتية، فلا حوار بدون امتلاك القوة المكافئة لقوة من نتحاور معه. إن الآخر الغربى لا يعى إلا لغة القوة، بل هو يسخرها لفرض رؤيته وموقفه علينا فرضا. ومن ثم فعلينا أن نعى أنه لا حوار بدون امتلاك بعض آليات الصراع وهى ليست إلا مزيجا من امتلاك عناصر القوة الذاتية اقتصاديا وعلميا وتكنولوجيا وعسكريا وسياسيا.

الا يتعارض ذلك كوننا دعاة سلام ومحبة وايمان؟!

* إن ثقافتنا الأصيلة وان كانت ثقافة سلام ومحبة وايمان، فهى ثقافة تحضنا على امتلاك عناصر القوة الذاتية وعدم الثقة المفرطة فى الآخر، فهذه الثقة المفرطة فى الآخر جعلتنا فى الواقع ننسى سنوات القهر والاستعمار والهوان وهى التى جعلتنا ننسى اغتصاب الأرض وانتهاك الحرمات.. إن التعامل مع العصر وقيمه لا ينبغى أن يؤجل حتى تتحرر الأرض عبر ما يسمونه ثقافة السلام، بل ينبغى أن يكون تعاملا تتوازن فيه عوامل بناء القوة الذاتية على كل المستويات مع عوامل الحذر فى الحوار مع الآخر، ذلك الحذر الذى يجعلنا دائما فى يقظة كاملة تتحسب لكل الخيارات ولا تركن إلى مهدئات السلام والمفاوضات وبناء شرق أوسط جديد إلى آخر هذه المصطلحات إلى يستخدمونها لتخدير شعوبنا واذكاء روح التكاسل والتواكل طمعا فى أن تضغط امريكا وأوربا فيحل السلام الشامل محل الصراع والحرب!! وهذا امل بعيد المنال ان لم نسارع إلى اكتشاف عوامل قوتنا الذاتية والاستمرار فى تطويرها حتى يمكننا بحق امتلاك عوامل التحدى الحضارى الشاملة، فصراعنا مع الآخر الاسرائيلى خاصة حسب ما يرى هو صراع وجود وليس صراع حدود!

كيف ترى إذن المستقبل فى خطوات محددة يمكننا القيام بها لنكون فعالين فى عالم ما بعد العولمة؟

* ان المسألة كما أطرحها فى هذا الكتاب تبدأ بـالإدراك الواعى لمتطلبات اللحظة الحاضرة والتى تفرض علينا الحذر وعدم التهور فى التعامل مع الآخر، وإذا كنت تطلب خطوات محددة فلنبدأ ببناء عوامل القوة الاقتصادية بسحب الارصدة العربية شيئا فشيئا من البنوك الامريكية والغربية وتوجيهها نحو بنوكنا الوطنية لاستثمارها

فى بناء مجعاتنا على أسس علمية واقتصادية واستراتيجية جديدة تبدأ بحل الخلافات العربية ـ العربية، والتوجه نحو إقامة السوق العربية المشتركة وتفعيل بقية اتفاقات الجامعة العربية الخاصة بالتنسيق السياسى والاقتصادى والعسكرى وخلافة..ثم التوجه فى نفس الوقت إلى التقارب مع الشرق وكذلك مع دول الجنوب الإفريقى.. إن بناء عوامل التقارب بين الشعوب العربية والاسلامية والاسيوية والافريقية لدرجة تتوحد فيها المصالح الاقتصادية والاهداف السياسية هو العامل الوحيد الذى سيجعلنا نحسم الصراع مع الآخر الغربى، ان هذه هى اللحظة التى أراها قريبة رغم أنكم ترونها بعيدة! وهذا هو الفرق بين رؤية الواقع تحت ضغوطه ورؤيته فى ضوء ما ينبغى علينا عمله وليس مجرد قوله!! إن المسألة كلها تتوقف على تمويل ثقافتنا من ثقافة القول والكلام إلى ثقافة الفعل والعمل، وإذا اتفقنا على هذه النقطة الأخيرة فسنكون بالفعل من صانعى المستقبل الحضارى للبشرية.